محاضرات ابستمولوجيا علم السياسة
السنة الثانية علوم سياسية
جامعة غليزان
الاستاذ جيلالي بشلاغم
موسم 2022-2023

المحاضرة الأولى: مدخل إلى الابستمولوجيا كحقل معرفي جديد

أولا: مفهوم الابستمولوجيا

الابستمولوجيا مصطلح ذو أصول يونيانية يتكون من كلمتين: "إبستيمي" (Episteme) ومعناها العلم ، و"لوغوس" (Logos) ومعناها النظرية أو الدراسة. ومن ثم فإن الابستمولوجيا تعني نظرية العلوم أودراسة العلوم. يعتبر الفيلسوف الاسكتلندي "جيمس فريديريك فيرييه" (1808- 1864) أول من وضع هذا المصطلح في كتابه مبادئ الميتافيزيقا عند تمييزه في الفلسفة بين مبحث الوجود (أنطولوجيا)، ومبحث المعرفة (ابستمولوجيا). والكلمة في استعمالها الفلسفي المعاصر تعني" الدراسة النقدية للمعرفة العلمية وتهتم بالبحث النقدي في مبادئ العلوم وموضوعاتها وفرضياتها زنتائجها وقوانينها، بغية إبراز بناها ومنطقها وقيمتها الموضوعية". وينبه "لالاند" في موسوعته الفلسفية إلى الفرق بينها وبين دراسة المناهج العلمية ()، كما يميز بينها وبين نظرية المعرفة على ما بينهما من صلات ووشائج. ويعتبر لالاند أن ميزة الابستمولوجيا تكمن في كونها: "تدرس المعرفة بالتفصيل وبشكل بعدي في مختلف العلوم والأغراض أكثر ما تدرسها على صعيد وحدة الفكر". ومثل هذا التمييز لا ينسحب على الاستعمال الانجليزي والإيطالي للمصطلح . ومن المفاهيم التي انبثقت عن الابستمولوجيا نجد القطيعة الابستمولوجية، العائق الابستمولوجي، الثورات العلمية، الشبكة المفاهيمية، ...إلخ.

تعريف الابستمولوجيا:

تعرفها موسوعة الفلسفة (1967): " الابستمولوجيا أو كما تسمى نظرية المعرفة، هي ذلك الفرع من الفلسفة الذي يهتم بطبيعة المعرفة وأبعادها وبمفترضاتها وأسسها وبالثقة التي تمنح إياها".

وتعرفها الموسوعة البريطانية (1961): " طلك الفرع من الفلسفة الذي يهتم بالمشكلات التابعة لطبيعة المعرفة والاعتقاد ولحدودهما وصلاحياتهما".

ويعرفها أندري لالاند :"الدراسة النقدية للمبادئ والنتائج الخاصة بالعلوم، تهدف لمعرفة أصولها المنطقية، قيمتها وثقلها الموضوعي".

من التعريفات السابقة نستنتج ما يلي:

- تتخذ الابستمولوجيا من المعرفة موضوعا لها.
-تهدف إلى الكشف عن مبادئ المعرفة ونشأتها ومقاربتها وتفسيراتها للواقع ومفاهيمها وتطور دلالاتها.
- تنهج الابستمولوجيا الخوض في تاريخ المعرفة ومراحل تطورها والكشف عن فترات تقهقرها وأسباب ذلك.
- تعمل ضمن مقاربة نقدية بهدف الكشف عن الخلفيات وتحديد الأبعاد.

ثانيا: نشأة وتطور الابستمولوجيا كعلم:

نشأت الابستمولوجيا على رأي "روبار بلانشي" () حوالي 1900، لما بدأت عدة مبادئ، مما دعا العلم التقليدي يطرح للمناقشة طرحا جديا، حيثما التيار الهام المسمى بنقد العلوم والذي كان موجها ضد الوثوقية العلموية (الدغمائية)، وقد تناول بالأساس طبيعة القوانين والنظريات في الفيزياء.

أما عن مصطلح الابستمولوجيا فيرجع ظهوره لمعجم "لاروس إليستري" () عام 1906. أما أول من وضعه في كتاب فهو الفيلسوف الاسكتلندي "جيمس فريديريك فيرييه" (1808-1864) في كتابه مبادئ الميتافيزيقيا عندما حاول التمييز بين مبحث الوجود "الأنطولوجيا"، ومبحث المعرفة أو الابستمولوجيا".

ثالثا:طبيعة البحث الابستمولوجيا

- يعتبر العلم بمثابة العلاقة بين الذات الانسانية والموضوع، وقد بحث الفلاسفة سابقا من درجة التشابه بين التصور الذهني والشيء الخارجي لمعرفة حقيقة المطابقة بينهما. وقد تطور هذا البحث ليصبح موضوع الابستمولوجيا لأنها تهتم بدراسة تلك العلاقة السابقة.
- يجعل التاثير المتبادل بين المعرفة والانسان من وعي هذا الأخير قابلا للنمو والتطور من خلال مختلف النشاطات خاصة منها النشاط العلمي.
- من هنا نجد أن الابستمولوجيا ترتبط بفلسفة العلوم وتاريخ العلوم وعلم اجتماع العلوم ولكنها تختلف عن كل منها.
- تجمع الابستمولوجيا كل الاعتبارات السابقة، فهي تهتم بالأسباب الذاتية والخارجية التي تؤيد لانتاج المعرفة وتطورها (وضع المعرفة في مكانها وزمانها وابعادها).
- تنطوي على أكبر قدر من الموضوعية، ولا تكون الابستمولوجيا علمية إلا إّذا ارتكزت على المنهج العلمي القائم على الاختبار والتحقيق.

رابعا: خصائص الابستمولوجيا

- كون الابستمولوجيا فكرة غامضة، فإنها تؤدي بالبعض إلى الخلط بينها وبعض المصطلحات الأخرى.
- الابستمولوجيا فكرة محيرة عند محاولة تعريفها

- الابستمولوجيا فكرة مقلقة عند ممارستها

المحاضرة الثانية: علاقة الابستمولوجيا بالعلوم الأخرى

أ- علاقتها بنظرية المعرفة: تهتم الابستمولوجيا بنظرية المعرفة العلمية في حين تتناول نظرية المعرفة كل أنواع المعارف. وعند التمييز بين المفهومين نجد ثلاث اتجاهات:

الأول: يعتمده الانجليز، حيث يستخدم اللفظان للدلالة على نفس المفهوم ويعرف كل من الابستمولوجيا ونظرية المعرفة بأنهما فرع من فروع الفلسفة.

الثاني: يمثله الابستمولوجيون الفلاسفة، حيث يرون أن العلاقة بين المفهومين هي علاقة الجنس بالنوع، أي أن الابستمولوجيا تبحث في شكل خاص أوصورة حاصة من صور المعرفة هي المعرفة العلمية.

الثالث: يمثله الفلاسفة الوصفيون وحسبهم لا توجد علاقة بين المفهومين، لأنهم لا يعترفون بنظرية في المعرفة ما لم تكن تحليلا علميا (أي يعتمد على المناهج العلمية في التحليل والتفسير).

ب- علاقتها بفلسفة العلوم: هي علاقة الجزء بالكل حسب بعض المفكرين. فإطا نظرنا إلى فلسفة العلوم بالمعنى الأوسع، وجدنا الابستمولوجيا فصلا من فصولها. هناك من الابستمولوجيين من يقطع العلاقة بينهما لإضفاء صفة العلمية على الابستمولوجيا.

ج- علاقتها بعلم المناهج: يقدم علم المناهج الدراسة الوصفية والتحليلية في تحصيل المعارف العلمية، بينما تتعدى الابستمولوجيا إلى الدراسة النقدية الرامية إلى استخلاص المبادئ التي ينطوي عليها التفكير العلمي. فالمنهج إذا أحد الأدوات التي تستخدمها الابستمولوجيا.

د- علاقتها بعلم التاريخ: يعتبر تاريخ العلوم مبحثا ضروريا للتفكير الابستمولوجي،هذا الأخير يحاول أن يبحث في تأسيس المعرفة العلمية، ولا يكون ذلك إلا بالرجوع إلى تاريخ المعرفة بصفة عامة، وتاريخ العلم بصفة خاصة. وبذلك يعتبر تاريخ العلوم مخبرا للابستمولوجيا، أين نتقو بتحقيق فرضياتها، ونتائجها. وبذلك تكون مهمة تاريخ العلم الكشف عن العلاقة المنطقية التي تربط الحقيقة بالعلم عبر المراحل التاريخية المختلفة، والتي تمد الابستمولوجيا بالعناصر الأساسية والضرورية لتحليلاتها ونقدها للمعرفة العلمية.

مراحل أو مستويات المعرفة العلمية:

المعرفة العلمية ليست فعلا محددا في الزمان والمكان، لكنها تجري في الزمن وتنتقل من مرحلة إلى مرحلة، وكل مرحلة تساوي درجة معينة (أومستوى معين)

من المعرفة. ولذلك يمكن تقسيم هذه المراحل أو المستويات التي مرت بها المعرفة العلميةلى ما يلي.
أ- مرحلة الوصف: تتميز هذه المرحلة بجمع أكبر عدد من المعطيات والمعلومات باستخدام أدوات ووسائل ومناهج مختلفة.
ب- مرحلة الفهم والتفسير: الانتقال من التحليل إلى اللتعليل، بالإجابة عن السؤال لماذا؟.
وهي تحتاج إلى أدوات للتفسير مثل النظريات، المقاربات، والنماذج والطروحات التي تحاول تفسير الواقع.
ج- مرحلة الضبط والتحكم: عند فهم الواقع وتفسيره نصبح قادرين على ضبطه والتحكم فيه أو التكيف معه واكتشاف أسراره، من أجل إعادة بناءه بكيفية تتماشى مع قدراتنا واحتياجاتنا.
كما يتم الانتقال من القدرة على الفهم إلى القدرة على العمل والبناء.
د- مرحلة التوقع والتنبؤ: بعد تجاوز المراحل السابقة، يستطيع الباحث عن المعرفة أن يصل إلى مستوى التأصيل النظري والمنهجي لدراسة مستقبل الظواهر المدروسة، من خلال تتبع مراحل تطورها سابقا أوتكرارها والكشف عن القوانين والنواميس التي تتحكم في حدوثها.

المحاضرة الثالثة: تحديد المفاهيم المرتبطة بالابستمولوجيا

ارتبطت دراسة الابستمولوجيا بالعديد من المفاهيم والمصطلحات والتي أصلها الكثير من المفكرين والفلاسفة مثل مفهوم القطيعة الابستمولوجية لغاستون باشلار، الثورات العلمية، والنموذج المعرفي لتوماس كوهين، وغيرها من المفاهيم المنهجية والنظرية الأخرى التي تشتغل عليها الابستمولوجيا.
1- النظرية: هي مصطلح اليوناني الأصل مشتق من كلمة (theorin) والتي تعني عملية الملاحظة ووجود عملية الملاحظة في معنى أو تعريف النظرية يدل على أن النظرية هي عبارة عن مجموع مترابطة من المسلمات والمفاهيم المتعلقة المتعلقة بظاهرة خضعت لمراحل التجربة العلمية كالملاحظة التنبؤ والاختبار".
فالنظرية هي عبارة عن إطار منظم من المفاهيم والمسلمات التي تحدد وتفسر طبيعة العلاقة الموجودة بين المتغيرات المكونة للظاهرة. ينشأ هذا الإطار من المفاهيم والمسلمات من براهين وأدلة علمية وعملية خضعت للاختبار والتجربة. وتتميز النظرية عادة بوجود علاقة نسبية أو حتمية متعلقة بالموضوع أو الظاهرة محل الدراسة.
2- الاقتراب (أو المدخل): هو مجموع من الأفكار والمفاهيم المستخدمة من أجل العامل مع ظاهرة أو موضوع معين. فدراسة ظاهرة معينة يدفع الباحث إلى اختيار

مجموعة معينة من المفاهيم والأفكار والأبعاد التي توجه بحثه أثناء التعامل مع الظاهرة، ويسمى هذا الإطار من المفاهيم والأفكار بالاقتراب (Aproach).
3- المنهج: المنهج هو مجموعة الخطوات والإجراءات والوسائل المستخدامة للوصول إلى المعلومات والمعطيات المتعلقة بالظاهرة المدروسة.
هناك علاقة وطيدة بين النظرية والمنهج، فالمنهج هو عبارة عن مجموعة الطرق والأساليب المستخدمة للوصول إلى النظرية أو إلى نتائج علمية يمكن أن تصبح قانونا عاما أو نظرية.
4- المدرسة: هي عبارة عن إطار معرفي علمي يشمل مجموعة من النظريات والاقترابات والمناهج تؤمن بنفس المبادئ والمعتقدات العلمية والمنهجية. وتنتمي إلى المدرسة فرقة علمية من الباحثين والمفكرين تؤمن بنفس المبادئ العلمية في فترة زمنية معينة ، وليس في كل الحالات تنشأ هذه المعتقدات من مصدر واحد يسمى عميد أو مؤسس المدرسة.
5- النموذج المعرفي: هو مجموعة متجانسة من المعتقدات والنظريات والاقترابات والقوانين والمناهج يشترك فيها ويؤمن بها أعضاء مجتمع علمي معين في فترة زمنية معينة. هذا التعريف يدل على وجود تشابه كبير بين مصطلح المدرسة ومفهوم النموذج المعرفي، إلا أن الفرق بينها يكمن في أن النموذج المعرفي أشمل إلى حد ما، ويمكن أن يشمل مدرستين أو أكثر. ففي العلاقات الدولية مثلا، هناك نموذج معرفي يسمى بالنموذج الراديكالي وهو يصور العالم كأخطبوط برؤوس متعددة، هذا التصور يرجع ويركز على ظواهر الهيمنة والاستغلال، بأشكال متنوعة، يدور موضوعه حول النظام العالمي، وأنماط الإنتاج. فظهرت فيه مدارس ونظريات متعددة رفضت واقع النظام الدولي، ونادت بتغييره على غرار المدرسة الماركسية ومدرسة التبعية وغيرهما. وهناك النموذج التعددي والذي يشمل مجموعة من المدارس والنظريات التي صورت العالم كبيت العنكبوت المركب من شبكة معقدة من العلاقات على غرار المدرسة الليبرالية والوظيفية والاعتماد المتبادل، العولمة ، ...إلخ.
6- المنظور: يعرف المنور بمجموعة الرموز والمفاهيم التي يستخدمها الباحث للاختيار بين مجموعة من البدائل في موضوع ما. وبذلك فالمنظور يسمح لنا باختيار مدركاتنا وتنظيمها وتوجيه أعمالنا.
والمنظور يعني القيم والمعتقدات والاتجاهات والمعاني التي تتوفر في الإطار الفكري، أو في جهة نظر الفرد إزاء موقف معين. ويتكون من مجموعة مبادئ تؤثر فيما يدركه الشخص في تفسير الظواهر المدروسة. وعليه فإن المنظور يعكس تأثير القيم والتصورات للباحث على موضوع البحث، والمدخل الذي يختاره، والنظرية التي يتبناها.

يرى "كارل منهايم" بأن المنظور هو الطريقة التي يرى بها الشخص موضوعا من الموضوعات. فالمنظور هو مجموعة العوامل المسؤولة عن اختلاف شخصين في الحكم على موضوع واحد. وعليه تصبح المعرفة نسبية وهي تبرز وجهة نظر الباحث وفق منظور معين. وفي ذلك يقول "روبرت كوكس": " النظرية دائما لبعض الأشخاص ولبعض الأغراض"، وفي رأيه كل نظرية تمتلك منظورا خاصا. والمنظور ينبثق من الوضع المحدد بالزمان والمكان الاجتماعي والسياسي والاقتصاد والثقافي وغيرهم. ورؤية العالم تتم من مواقع مختلفة، لطلك فالنظرية تمثل نفسها فقط، ويجب التعامل معها بطريقة نقدية.

7- القطيعة الابستمولوجية: وضع الفيلسوف الفرنسي "غاستون باشلار" مفهوم القطيعة الابستمولوجية في إطار تصوره لتاريخ العلوم الذي كان يعارض فيه النظرة التراكمية والاستمرارية لذلك التاريخ. وفكرته الأساسية أن العلوم تتطور بالكيفية التي تسمح باستنباط النظريات الجديدة من التاريخ السابق لها في مجالها. وأن تاريخ العلم هو تاريخ التجاوزات والقطائع الابستمولوجية أو أن تطور العلم حدث نتيجة هذه القطائع أو القفزات والتي سمحت بتجاوز العقبات الابستمولوجية وتصحيح الأخطاء العلمية أو تعديلها.

يرفض باشلار أن تكون ثمة استمرارية بين المعرفة العلمية والمعرفة العامية، ومن جهة أخرى، يرفض أن يكون ثمة استمرارية بين الفكر العلمي القديم والفكر العلمي الحديث والمعاصر.

تحدث القطيعة الابستمولوجية في المعرفة العلمية ذاتها بفضل الاكتشافات العلمية الجديدة والتي تكون منطلقا لأنساق علمية جديدة وأساسا لمراجعة الفكر العلمي لبعض المفاهيم التي كان يعتمدها في فهم النظريات العلمية الجديدة في إطار التطور التراكمي لتاريخ العلم.

ويمكن الحديث عن ثلاث مظاهر لهذه القطيعة:

المظهر الأول: القطيعة بالتغليف: لا تعني القطيعة انفصالا تاما عن الفكر العلمي السابق، أو رفضه رفضا مطلقا، وإنما تعني احتواء الفكر العلمي الجديد للفكر العلمي السابق، وهذا ما نسميه تغليفا. ومثال ذلك ما قاله "إنشتاين" بأن نظريته النسبية جعلت من نظرية "نيوتن" إحدى حالاتها الخاصة أو جزء منها.

المظهر الثاني: القطيعة بالتعايش: يمكن أن تتعايش النظريات رغم تناقضها و تعارضها.

المظهر الثالث: القطيعة التامة: مثلما حصل في الفيزياء الفلكية مع نظرية كوبرنيكوس حول مركزية النظام الشمسي.

8- العائق الابستمولوجي: يعني تلك الحواجز والمعيقات التي تحول دون التعلم واكتساب العلوم والمعارف أو دون المعرفة العلمية. وتتنوع العوائق الابستمولوجية كما يلي:
أ- عائق التجربة الأولى: والتي ترتبط بتلك الأحكام المسبقة التي تسبق القيام بالتجربة الأولى أو البحث في موضوع ما لأول مرة.
ب- عائق التعميم:كالتعميم الذي جاء به أرسطو وهو مستمر معنا إلى اليوم، فالتعميم لا يكون مجديا في بعض الأحيان، ويصبح عائقا أمام تطور المعرفة العلمية.
ج- العائق اللفظي: يرى "باشلار" أن تمدد الألفاظ والكلمات يمكن أن يشوش على الدماغ وعلى الأفكار ويمكن أن تستعمل خارج دلالاتها الأصلية. ومن ناحية ثانية، فإن استعمال هذه الألفاظ والمصطلحات في غير مواضعها وبغير دلالاتها يمكن أن يؤدي إلى نتائج خاطئة أو مخالفة لما هو مخطط.
د- العائق الجوهري: عندما نعطي صفات إضافية لجوهر الأشياء أو عندما تعتمد على مظاهر الأشياء والأحداث، ونعتبرها تمثيل للحقيقة وجوهر الأشياء والحقائق.
وعليه يمكن إعطاء تعريف إجرائي للعائق الابستمولوجي كما يلي: "هو مجموع التصورات والأفكار التي تؤثر سلبا في عمل الباحث والعالم، ويتعلق بالذات العارفة بمعنى أنه مشكلة الذات العرفة في علاقاتها بموضوعات تفكريها".
إلى جانب المفاهيم التي ذكرناها آنفا، هناك مفاهيم أخرى عديدة، نذكر منها مفهوم "الابستيمية" أو المنظزمة الفكرية الذي ظهر في مؤلفات وكتابات ميشال فوكو، والتي ساهمت في تقدم الابستمولوجيا كحقل معرفي مثل: "الكلمات والاشياء"، أركيولوجيا المعرفة"، حيث تبنى فكره مفهوم الإزاحة المعرفية" في تفسير تطور المعرفة.
كما ابتكر "كارل بوبر" مفهوم التفنيد والإحلال المعرفي، واشتهر توماس كوهن بمفهوم الثورات العلمية و"إمري لاكاتوش" بمفهوم البرامج البحثية، و"باول فيرابايند" بالتعددية المنهجية.

المحاضرة الرابعة: تطور الدراسات السياسة ما قبل التأسيس

تمهيد: بقي علم السياسة باعتباره حقلا ابستمولوجيا، غير واضح المعالم حتى أواخر القرن 19م، في حين كانت حقوله (أو فروعه) المعرفية، مثل العلاقات الدولية والفلسفة السياسية تدرس كجزء من دراسات التاريخ. ولم تدرس السياسة بوصفها علما قائما بذاته، إلا بعدما أنشئت أول كلية للعلوم السياسية في جامعة كولومبيا الأمريكية عام 1880م. وأصبحت الجامعات الغربية تعترف بعلم السياسة كعلم أو فرع من فروع العلوم الاجتماعية والانسانية منذ نهاية القرن 19م. وترسخ هذا الاعتراف بانشا كل من المدرسة الحرة للعلوم السياسية في باريس 1871م،

ومدرسة لندن لعلم الاقتصاد والسياسة. وقد تأكدت أهمية هذا العلم، باعتماده كمادة للتدريس في الجامعات الأوروبية بصفة عامة والجامعات الأمريكية بصفة خاصة، ومنذ ذلك الوقت انتشرت معاهد العلم السياسية وكلياتها في الولايات المتحدة الامريكية وأوروبا.

ارتبطت نشأة وتطور علم السياسة الحديث بالتطورات والأحداث التي جرت في الولايات المتحدة الأمريكية منذ منتصف القرن 19م، وتحديدا مع اشتداد الحرب الأهلية الأمريكية والحاجة إلى تأصيل الكثير من الظواهر المرتبطة بها. زبعد ذلك الفصل التدريجي بين علم السياسة وباقي الحقول المعرفية الأخرى، مثل التاريخ، الجغرافيا، السوسيولوجيا والاقتصاد، ...إلخ.

يعود الفضل إلى إرساء علم السياسة كحقل معرفي مستقل (أو كتخصص أكاديمي مستقل) إلى تأسيس الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية (APSA) في عام 1903م، وتولى "فرانك غودناو" (Frank J.Goodnow)، رئاستها. وقد عكف الباحثون في علمالسياسة، طوال العقود الأولى من القرن 20م، على محاولة نقل الحقل من حالته الجامدة إلى الفعل الحيوي والنوعي في طريقة دراسة الظواهر السياسية وتناولها، أين هيمنت الاقترابات والمناهج الوصفية والتقليدية الجامدة في دراسة الظواهر السياسية.

وقد جاءت أهم المساهمات في علم السياسة على أيدي كثير من الرواد وعلماء السياسة الامريكيين، أمثال "تشارلز ويليام"(Charles E. William) في عام 1921م، هارولد لاسويل (Harold Lasswell) (1902- 1978)، و"روبرت داهل" (Robert Dahl) (1915-2014)، وغيرهم، إلى درجة أن البعض يعتبر أن علم السياسة هو علم أمريكي بامتياز.

وقد ظل علم السياسة يعاني معضلات وإشكاليات منهجية حتى منتصف القرن 20م. ولم يكن غريبا أن يشير عالم السياسة الامريكي "دافيد إيستون" (David Easton) (1917- 2014) إلى أنه:"حتى أواخر الستينات كان علم السياسة يبحث عن هويته"، وكان يقصد بذلك قدرة علم السياسة على رسم حدوده الابستمولوجية، مع باقي الحقول المعرفية الأخرى، فضلا عن إيجاد أدوات جديدة لبحث ودراسة الظواهر السياسية، مثل الاقتصاد السياسي والنظم السياسية المقارنة.

وذلك إلى أن ظهرت المدرسة السلوكية في أواخر الستينيات من القرن العشرين ، وأدت دورا محوريا في تطوير أدوات البحث في علم السياسة ومناهجه.

وبتتبعنا لتاريخ تطور علم السياسة منذ عهد الإغريق، نجد أن الطابع الفلسفي قد طغى بشكل كبير على دراسة الظواهر السياسية، أين كان ينظر للسياسة على أنها حقل معياري وأخلاقي،وبالتالي كان في كثير من الأوقات فرعا من فروع الفلسفة

الأخلاقية، أو كما هو الحال في الفكر السياسي ما قبل الحديث والذي انصبت اهتماماته على ما ينبغي أن يكون بدل ما هو كائن. ومع ذلك، هناك من شذ على هذا الاتجاه على غرار ارسطو، ابن خلدون وميكيافيللي الذين اشتهروا بدراساتهم الدقيقة للعملية السياسية الواقعية ولم يغرقوا في المثالية، إلا أن علم السياسة لم يتسع خارج حدود الإطار الفلسفي إلا منذ وقت قريب.
كان هذا إلى غاية حدوث القطيعة الابستمولوجية وزهور علم السياسة كعلم مستقل عن العلوم الانسانية والاجتماعية الأخرى. وقد شهد حقل العلوم السياسة عدة حركات واتجاهات فكرية ومدارس علمية ساهمت في تطور هذا الحقل.

المحاضرة الخامسة: تطور علم السياسة بعد التأسيس

لقد مر تطور علم السياسة عبر خمس مراحل كبرى تميزت كل واحدة منها بسعي إحدى التوجهات المعرفية المهيمنة عليه. فكانت البداية مع النزعة الدولاتية كمرحلة أولى، والتي جعلت من الدولة كوحدة تحليل أساسية، ثم سادت النزعة التعددية مع نهاية العقد الثاني وبداية العقد الثالث من القرن العشرين، مطالبا باهتمام التحليل السياسي بفواعل أخرى من غير الدولة، ثم جاءت السلوكية في مرحلة ثالثة مع منتصف القرن 20م، ثم مرحلة الاتجاه نحو علم سياسة جديد خلال نهاية الستينات وبداية التسعينيات. ومع بدايات القرن 21م، برز معيار جديد تحت مسمى بروستر ايكا علم السياسة.

أولا: النزعة الدولاتية في علم السياسة

إن دراسة علم السياسة وتطوره في فترة ما بعد تأسيسه كعلم أو تخصص مستقل بذاته، لا يمكن فصله عن تطور النظام السياسي الأمريكي والذي هيمن عليه الطابع الدولاتي مع نهاية القرن 19م، أين هيمنت المنهجيات الاستنباطية والمقولات المعيارية وشهد فيه علم السياسة الإرهاصات الأكاديمية الأولى، ومحاولة فصله عن الحقول المعرفية الأخرى التي كانت مرتبطة به كعلم التاريخ، الفلسفة والقانون.
عرف علم السياسة في هذه المرحلة على أنه "علم الدولة"، وكان المنهج المتبع في الغالب منهجا استنباطيا، أما المهمة التي كانت ملقاة على كاهل هذا العلم والمشتغلين به. فهومحاولة تطوير للمؤسسات الحكومية ووضع حدود لمفهوم المواطنة. وقد ظل هذا المفهوم مرتبطا بعلم السياسة حتى وقت قريب.
ظل حال علم السياسة هكذا حتى بداية القرن 20م، ولعل المتغير الوحيد الذي يمكن ملاحظته على مسار هذا العلم إبان تلك المرحلة، هو الاتجاه إلى المنحى الدستوري المفتقر إلى وضوح في أسلوب التحليل والمعالجة. وقد ظلت الفجوة قائمة بين الواقع السياسي للدولة ونظامها الدستوري.

وتجدر الإشارة إلى هيمنة تصور الدولة على الخطاب السياسي الأمريكي مع نهاية القرن 19م، وساهم في إكساب الدولة وزنا مهما في التحليل. وهكذا تمحور الخطاب العلمي والأكاديمي لهذا الحقل على الدولة ابتداء من "فرانسيس ليبر" (Francis Leiber)، والذي عين كأول أستاذ لعلم السياسة بجامعة كولومبيا الأمريكية عام 1857م، وصولا إلى "وودرو ويلسون" (Woodrow Wilson) وغيره من الباحثين. خلال هذه الفترة كانت المهمة الرئيسية لعلم السياسة إرساء دولة قومية موحدة ومواطنة فاضلة.

ولم يكن "ويلسن" وحيدا في تصوره لنظام سياسي تؤطره أحزاب سياسية منضبطة، تقترح سياسات عقلانية معدة بعناية لناخبين لديهم الدراية الكافية. وعلى ضوء نتائج الانتخابات يقوم الكونغرس بإقرار السياسات التي تمت تزكيتها، لتعكف على تنفيذها بيروقراطية تتمتع بالخبرة وتطبق أفضل ما جاء بع علم الإدارة".

وقد أشار "فرانك غودناو" في هذا السياق أمام الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، حول ور علم السياسة في تحقيق إرادة الدولة، حيث قال: "أحيانا تنشأ التحالفات السياسية لهذا الغرض (أي تحقيق إرادة الدولة)".

لكن الهدف الذي وجد من أجله مشروع الحركة التقدمية في أمريكا، يتمثل بالأساس في مكافحة الفساد، الزبونية،الماكنة الحزبية، المحاباة والجهوية، وهي المظاهر التي سعت النزعة الدولاتية إلى محاصرتها تماما مثلما عملت على إصلاح النظام الماديسوني (نسبة إلى توماس ماديسون أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة الأمريكية)، والذي أصبح غير ملائم للتحولات الاجتماعية الناجمة عن الثورة الصناعية. ومن جهة أخرى، فقد ركز بعض الباحثين في الاتجاه الدولاتي الذي يقدس مفهوم الدولة على معارضة الطابع الفدرالي للدولة بدعوى جعل الولايات المتحدة الأمريكية أكثر توحدا. وبذلك يتضح أن الحقل المعرفي الناشئ باسم علم السياسة، لم يكن هدفه تقديم إطار تحليل لدراسة الظاهرة السياسية، بل تجسيد لأجندة سياسية أيضا. وهي الميزة التي اتسمت بها كل الحركات الثورية في العلم.

المحاضرة السادسة: النزعة التعددية في علم السياسة

كانت الولايات المتحدة الأمريكية نظاما سياسيا تعدديا بشكل يفوق آمال ذوي النزعة الدولاتية، ورغم أن الدولاتيين يقرون بالتعدد إلا أنهم يطلقون عليه وصف التجزئة، بل ويعتبرونه مشكلة يتعين حلها لا وضعية ينبغي تثمينها. هذه الحقيقة أشار إليها الأستاذ آرثر بنتلي" (Arthur Bently) في مؤلف له بعنوان "عملية الحكومة" (The process of Government)، والذي يعتبره السلوكيون أحد رواد السلوكية التعددية. وفي كتاب آخر اصدره لاحقا بعنوان (, Makers

Users, And Masters)، عبر "بنتلي" عن إدانته لهيمنة مجموعات المصالح على السياسة الأمريكية. وهو ما يتفق مع أحد أسلاف السلوكية "تشارلز ميريام" (Charles Merriam)، والذي دعا في مؤلف نشره خلال العشرينات من القرن العشرين، إلى تقوية الديمقراطية وتعزيز التحكم في العملية السياسية والرعاية الاجتماعية. ورغم النزيف الذي تعرض له نظام الدولة المركزية، إلا أن تقديس الدولة استمر خلال العشرينيات من القرن الماضي لأنها كانت تلبي تطلعات وقيم معيارية.

غير أن التعددية المعيارية اضحت تحتل حيزا متزايدا مع ظهور مؤلفات "هارولد لاسكي" (Harold Laski) في 1917م، و"ماري باركيت فوليت" (Mary Parket Follet) في 1918م، كان كل منهما متأثرين بفلسفة "ويليام جيمس" (Wilyam James) التي شددت على وجود طرق عديدة يمكن للفرد من خلالها إدارة شؤونه. ومن هنا يمكن استشفاف حقيقة أن مفهوم التعدد لدى ذوي النزعة التعددية لا يرتكز على تعدد المصالح بل على تعدد الوسائل. أما "ماري فوليت" فقد كانت من دعاة تنظيم المجتمع في جماعات من القاعدة باتجاه القمة، معارضة بذلك الهندسة الاجتماعية التي كانت تعتمد على الاتجاه العكسي. وهي بذلك تختلف عن الدولاتيين في تقديسهم لدور الوصاية التي تمارسها الدولة.

ويرى "جورج كاتلين" (George Catlin) أن التعدد يعود على اختلاف مصالح المجموعات المشكلة للنسيج الوطني ، لا على تعدد التجارب هذه المجموعات ووسائلها. وإذا تمعنا جيدا في أعمال "كاتلين"، سنلاحظ تقاربا كبيرا بينه وبين الاتجاه الدولاتي الذي كان بمثابة التقليد البحثي السائد خلال تلك الفترة، خاصة وأن أنصار الدولاتية كانوا يعترفون بوجود التعددية، غير أنهم كانوا يرون فيها مشكلة يتعين حلها. وعموما فأن تعددية "كاتلين" من الناحية الواقعية لا تنطوي على تحول جذري في النموذج المعرفي السائد في الحقل، وإنما اعتبرت طريقته نظرية تفسيرية للواقع الاجتماعي.

زمن هنا يتضح أن الشيء الثوري الوحيد لدى التعدديون هو النظرة المعيارية لأطروحاتهم. ما يعني أن "هارولد لاسكي" و"ماري فوليت"، هما المؤهلان لتمثيل الثورة التعددية في الحقل المعرفي لعلم السياسة. لكن تطلعاتهم لم تحض بالقبول في علم السياسة إلا في خمسينيات القرن العشرين مع بروز الاتجاه السلوكي للحقل.

ومع ذلك، فإن الحديث يجب أن يتمركز حول المحاولة الثورية التي قام بها ذوي النزعة التعددية المعيارية (تعددية القيم لا تعددية المصالح)، وهي المحاولة التي باءت بالفشل، لأنها جوبهت بمقاومة عنيفة من التقليد البحثي السائد آنذاك، لا سيما

من رموز الدولاتية: "تشارلز بيردو" (Charles Beardo)، و"وولتر شيبارد" (Walter Shepard)، "فرانسيس كوكر" (Francis Coker) وغيرهم.

المحاضرة السابعة: النزعة السلوكية في علم السياسة

تركز البحث والتحليل في هذه المرحلة على السلوك السياسي، والمرافعة المنهجية لصالح النزعة العلمية القائمة على المناهج العلمية. وتمثل النزعة السلوكية أيضا رسالة سياسية فحواها تشجيع الأسلوب العلمي في البحث والتحليل،وقدمت تصورا منظما للنظام السياسي.

وبالرغم من أن السلوكيين يركزون على سلوك الفرد باعتباره وحدة التحليل الرئيسية،إلا أنه لم يكن هناك مشكلة في دراسة سلوك جماعة الأفراد العاكفين في إطار مجموعة واحدة على تحقيق أهداف الجماعة، وقد كان كل من "روبرت داهل" (Robert Dahl)، و"دافيد ترومان" (David Truman) علماء السلوكية في بداياتها خلال الخمسينيات حيث ترأس "ترومان" لجنة السلوك السياسي التابعة لمجلس البحث في علوم الاجتماعية.

وقد تبنى الاتجاه السلوكي التعددية في شقها المتعلق بالمصالح لا القيم، أي ذلك التعدد الذي يقبع تحت مظلة التوافق حول المنطلقات والأسس بين المصالح الاقتصادية المتعارضة. ومع وصول الستينيات ظهرت كتابات عديدة تشيد بانتصار المدرسة السلوكية ونموذجها المعرفي، وأعطى ذلك انطباعا بأن السلوكية أحدثت ثورة علمية في علم السياسة وتحصلت على رضا الأكاديميين بفضل نجاحها في إعادة صياغة أجندة البحث، كنتيجة لإسهامات المؤيدين والخصوم على حد سواء.

لقد وجه الخطاب السلوكي الثوري انتقادات لاذعة لعلم السياسة التقليدي، الذي يعتمد المناهج التقليدية من مثل المنهج التاريخي المغالي في واقعيته، دون ذكر لهوية وأسماء خصومهم، أو الأعمال والمؤلفات التي تمثل الاتجاه التقليدي في علم السياسة.

غير أن أعنف هجوم علمي ثوري على الوضع القائم في حقل علم السياسة كان قد شنه "دافيد إيستون" في 1953م من خلال كتابه "النظام السياسي"، حيث أبدى نقمته على الوضع القائم في علم السياسة وعدم الرضا بين أخصائيي الحقل، وقدر محتوى الفصل الأول من هذا الكتاب سجالا فكريا كبيرا دون أن يتم الإشارة إلى أي عالم أمريكي يمكن إدانته بالمغالاة في الواقعية والإخفاق في التنظير.

وبالرغم من محاولته في الفصل الثالث من نفس الكتاب، أن يقدم نموذجا عن خصومه فأشار إلى "جيمس برايس" (James Bryce)، بالرغم من أن كتابات هذا الأخير تعود إلى نصف قرن مضى. أما في الفصل العاشر فقد انتقد ايستون"

لجوء منظري علم السياسة التقليدي إلى تاريخ الفكر السياسي لكنه لم يجد "جورج سابين" (George Sabine).
بعد ذلك بوقت طويل، وبالتحديد في عام 1984م أصدر إيستون مؤلفا آخر يتحدث فيه عن علم السياسة التقليدي، وقال أنه بالغ في الاهتمام بالأحزاب السياسية وبمجموعات الضغط على حساب الدولة وكأنه يعيد للدولة قداستها وأهميتها في التحليل، ولتأكيد مزاعمه أشار إلى "آرثر بنتلي" و"يندیلتون هيرينغ" مغفلا حقيقة أن "بنتلي" قد اختفى من المشهد الأكاديمي في 1953م، وقبل حدوث ذلك، فإن "بنتلي" نفسه تحول إلى واحد من المتحمسين للسلوكية. أما "هيرينغ" ورغم أنه عاش حتى فترة صعود الاتجاه السلوكي في الخمسينات، إلا أنه لم يعارض السلوكيين، بل ساهم بشكل فاعل عام 1949م في تأسيس لجنة السلوك السياسي تحت مظلة مجلس البحث في العلوم الاجتماعية، والتي ترأسها هو شخصيا، وقد كانت هذه اللجنة المدخل الذي نفذ من خلاله السلوكيون إلى الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية.، كما كان لها دور حيوي في تمويل أعمال البحث السلوكي ورعاية مؤسسات المدرسة السلوكية. ورغم الانتقادات التي قدمها أيستون لهؤلاء العلماء والباحثين، إلا أن هؤلاء ساهموا بطريقة أو بأخرى في الحفاظ على انتصار النموذج المعرفي السلوكي.
وطالما أن السلوك، العلمية، التعددية والنظام هي أهم المبادئ والمفاهيم التي قامة عليها السلوكية، فإنه لا مبرر لاعتراض التقليديين عليها، ذلك أن البحوث التي تناولت السلوك على المستوى الفردي ذاع صيتها خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات، وكان قد تزعمها "هيرينغ"، "غوزنيل"، "لا زويل" و "لازرفيلد". ولقد كانت النزعة العلمية قائمة حتى قبل مجيئ السلوكيين وكانت التعددية بمثابة واقع أمبريقي أقرته النظرية التعددية غير المعلنة للتقليديين.
فما الذي يجعل من السلوكية ثورة علمية بالمفهوم الكوهني؟ تكمن الإجابة في أن السلوكية قامت بإحداث تغييرات جذرية في توجهات قائمة سلفا في علم السياسة.هذه المجالات المنتقاة هي السلوك، العلمية، التعددية، الوصف مقابل التفسير في الجوانب النظرية. بدءا بالسلوك، اعتمد السلوكيون على الدراسات المسحية التي تعتمد على مجتمع إحصائي أوسع، كما عمدوا إلى زيادة وتيرة الدراسات الكمية التي تصدرت صفحات الدوريات العلمية الرئيسية في التخصص. لكن، ومن جهة أخرى، فإن سيطرة السلوكيين على التخصص، ساهم في تراجع الدراسات المخصصة لتحليل السياسة العامة للحكومة.
أما النزعة العلمية الجديدة للسلوكيين، فقد ساعدتهم على تحصيل موارد جديدة لتمويل أبحاثهم لا سيما من الصندوق القومي للعلوم. أما بالنسبة للتعددية فقد طغى

مجال دراسة السلوك على دراسة المؤسسات، لكن دون أن تسقط المؤسسات من أجندة البحث.
وبذلك، فإنه ومن بين السمات الأربعة السابقة، فإن مجال النظرية هو المجال الوحيد الذي حمل الجديد وأكسب السلوكية صفة الثورية، وهو ما نجم عنه إرساء النظرية السياسية كتخصص مستقل ومؤطر للبحث في علم السياسة. وبخلاف التحول في مجالات الاهتمام، فإن الجديد الذي حملته السلوكية كثورة تتمثل في إعادة صياغتها لتصور التعددية، من تعددية المنظومات القيمية إلى تعددية المصالح. وهيمنت هذه النظرية الجديدة وحلت مكان المعيارية التي سادت لفترة طويلة لدى الدولاتيين. ذلك لأن الحرب العالمية الثانية أماطت اللثام عن الجانب الرهيب للدولة، كان من الصعب إقناع أي كان بإعادة صياغة السياسة الأمريكية عبر إعطاء دور أكبر للدولة مثلما يدعو إليه أنصار الدولاتية.
لقد هيمنت السلوكية تدريجيا على تخصص العلوم السياسية، لكن ذلك لم يجعلها في منأى عن الانتقادات التي تصاعدت حدتها مطلع الستينيات. هذه الانتقادات لم يكن لها من دور سوى تأكيد هيمنة السلوكية ونجاحها في إعادة صياغة أجندة البحث في علم السياسة. من جهة أخرى، تنامى النقد الموجه للسلوكية من جهات أكاديمية أخرى، كانت تطالب بإصلاح علم السياسة وتفعيل دوره الايجابي، من خلال انتقاده وتوجيه أبحاثه نحو قضايا المجتمع.

المحاضرة الثامنة: المؤتمر من أجل علم سياسة جديد

أثمرت الانتقادات التي وجهها اليساريون للسلوكية ظهور ما يسمى: "المؤتمر من أجل علم سياسة جديد" والذي حاول تحديد معالم المرحلة المقبلة في علم السياسة وإعادة توجيهه. حيث تم تنظيم المؤتمر سنة 1967م خلال الاجتماع السنوي للجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، أين تزعمه "بيتر باكراتش" (Peter Bachrach)، "كريستيان باي"(Christain Bay)، "تيودور لوي" (Theodore Lowi)، "مايكل برينت" (Michael Brent) وآخرون. كما تضمنت القائمة أيضا وجها بارزا في تخصص العلاقات الدولية "هانز مورغانتو" (Hans Morgenthau) والذي كان من بين المعارضين للحرب على فيتنام. وقدم المؤتمر مرشحا لرئاسة الجمعية.
ولتسويق أطروحاتهم عمد أعضاء المؤتمر إلى تغطية جوانب القصور في الاتجاه السلوكي، وتوجهوا إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية، والأزمات السياسية لتلك الفترة. وطالبوا باتخاذ موقف موحد من القضايا السياسية والدولية المثيرة للجدل: مثل حرب الفيتنام، التمييز العنصري، والفقر، إضافة إلى قضايا البيئة والمرأة.
وبالرغم من أن المؤتمرين، لم يجمعوا على رفض النزعة العلمية في علم السياسة، إلا أنهم رأوا بضرورة إعادة ترتيب الأولويات، لتكون العلمية في المرتبة الثالثة

بعد الالتزام بقضايا المجتمع، ومدى صلاحية نتائج الأبحاث لمعالجة هذه القضايا. وقد برروا موقفهم هذا بكون مسألة تفسير السلوك السياسي، لا تشكل حقيقة مركز الثقل المعرفي في علم السياسة. وبذلك يبدو واضحا أن المؤتمر من أجل علم سياسة جديد" مثله مثل الاتجاهات الثلاثة السابقة جمع بين الأهداف الفكرية والبحثية والأهداف السياسية، غير أن أهداف المؤتمرين السياسية كانت واضحة مقارنة بالسلوكيين.

سخر أعضاء المؤتمر معظم جهدهم،لإصلاح الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، وقدموا مرشحا لرئاستها خلال المؤتمر، ولعضوية مجلسها، لكنهم أخفقوا في الحصول على الرئاسة رغم استحواذهم على بعض المقاعد في المجلس، إلا أن بعض رواد المؤتمر من أمثال تيودور لوي تمكنوا لاحقا من الحصول على منصب الرئاسة في الجمعية.

وفي ظل الهيمنة السلوكية على أجهزة الجمعية الأمريكية للعلوم السياسية، جمد السلوكيون كل لجان العمل التي دعا إلى تشكيلها أعضاء المؤتمر في 1968م، لكن "دافيد إيستون" سعى إلى التخفيف من حدة التوتر بين المؤتمرين والسلوكيين. فخلال كلمة له بصفته رئيسا للجمعية في 1969م،تحدث إيستون عن ثورة جديدة في علم السياسة، بإمكانها أن تجعل التقنيات التي طورها السلوكيون ونظريته للنظم في خدمة القضايا الاجتماعية وحل مشكلاتها.

لم ينجح إيستون في ردم الهوة بين الاتجاهين، لكنه نجح في إرساء تخصص جديد في علم السياسة وهو السياسات العامة.وهكذا ظل السلوكيون في إطار الجمعية متشبثين بمقاومتهم للتغيير الذي بشر به المؤتمر من اجل علم سياسة جديد.

لقد شن أنصار المؤتمرهجوما كاسحا على السلوكية، لكنهم جوبهوا بمقاومة شرسة،وبدل أن يتوجهوا نحو تشييد روابط تعاون مع التيارات المناوئة لهم،فقد كرسوا جهودهم على الصعيد المهني في محاولة الهيمنة على رئاسة الجمعية ولجانها لكنهم لم يفلحوا في ذلك.

وعليه فقد تراجع طموح أعضاء المؤتمر، وأصبح تنظيمهم مجرد قسم عادي ضمن أقسام APSA، يعمل على تمويل لجان عمله بشكل ذاتي، أما المجلة التي تم المؤتمر برعايتها تحت اسم علم السياسة الجديد (New Political Science)، فقد ظل انتشارها محدودا، ولم يظهر اسمها ضمن ابرز 115 دورية علمية في التخصص.

وإذا رجعنا إلى معايير قياس نجاح الثورات المعرفية، فإننا نخلص إلى اخفاق ثورة المؤتمرين من حيث:

- أنهم لم يتمكنوا من إعادة صياغة أجندة البحث في علم السياسة.
- أن أجندة البحث التي اقترحها المؤتمر، لم يكن معترفا بها في أوساط الباحثين.

- أن المناهضين لهم لم يكن يتعين عليهم تبني صيغة توفيقية، بل اكتفوا بتجاهل أطروحات المؤتمرين، ما يدل على ضعف طرح المؤتمرين.

المحاضرة التاسعة: بروستر ايكا علم السياسة

شهد علم السياسة تحولات كبيرة في الفترة التي أعقبت الثورة السلوكية. وكان عودة مفهوم "الدولة" إلى تصدر أجندة البحث في الحقل قد أثار انتباه الباحثين إلى أن علم السياسة تحكمه نظام الدورات المعرفية (فمثلا: مفهوم الدولة كان محور اهتمام الباحثين لفترة طويلة ثم تراجع ليعود إلى الواجهة في مرحلة لاحقة). غير أن الدولة عادت هذه المرة في ثوب جديد، فهي لم تعد قيمة مقدسة كما كانت خلال عصر تأسيس علم السياسة، ذلك أن النزعة التجزيئية المجتمعية للسلوكيين، أثرت في "الدولاتيين الجدد"، فهؤلاء يعتبرون الدولة متغيرا مستقلا، من حيث أن مسؤولي الدولة -من وجهة نظرهم- قد يعملون على تحقيق مصالحهم الشخصية؛ ولا يعكسون بالضرورة القوى الاجتماعية. وهم بذلك لا يحملون أي جديد، بل عاودوا التركيز فقط على فواعل معينين وعلى حوافز معينة للسلوك (تحقيق المصالح الشخصية)، ويتفقون في ذلك مع السلوكيين من أمثال: "ترومان" Truman، والذي أقر بأن المسؤولين الرسميين يتفاعلون مع فواعل آخرين لتحقيق مصالح تحددها المؤسسات (المجتمعية) التي ينتمون إليها.

ويشير Almond في هذا الصدد إلى أن "النزعة الدولاتية الجديدة" لا تحمل في طياتها أية ثورة، أو تحولا في "الباراديم"، بل مجرد برنامج بحثي جديد يطمح إلى التمييز بين الأنظمة السياسية، من حيث مدى تأثيرها في الطريقة التي يعمل من خلالها الموظفون الحكوميون على صناعة السياسة العامة.

ما يميز برنامج البحث هذا، هو ما يميز برامج البحث بشكل عام، وهو أنه بإمكان الأكاديميين الناشطين في التخصص أن يتجاهلوه في حال لم يودوا الانخراط فيه. وفقا عن ذلك، فإن لغة هذا البرنامج البحثي (الدولاتي) لم تكن مستوعبة في أوساط علماء السياسة في تلك المرحلة. لكن خلال التسعينات، أصبح من الصعب جدا على علماء السياسة الأمريكية أن يتجاهلوا نظرية الخيار العقلاني رغم أن بدايات هذه المقاربة الجديدة (أو البرنامج البحثي الجديد) تعود لخمسينيات القرن الماضي، مع الأعمال التي نشرها: "كينيث أورو" Kenneth Arrow، "دونان بلاك" Dunan Blak، "أنطوني داونز" Anthony Downs، "ويليم يركر" William Riker. لقد كان استحواذهم تدريجيا على فضاء النشر الأكاديمي في علم السياسة يمنحهم مع مرور الوقت صفة البرنامج البحثي الأكثر شعبية في هذا الحقل المعرفي.

لكن نظرية الخيار العقلاني، وبدل أن تحدث ثورة في علم السياسة، فإنها ظلت تتوسع تحت ظلال "السلوكية"، و"الدولاتية الجديدة"، والمقاربتين: "الثقافية"

و"المؤسساتية الجديدة"، وغيرها من البرامج البحثية القائمة في علم السياسة، والتي يتزايد عددها باطراد. لقد ادعى بعض رواد "الخيار العقلاني" بأن مقاربتهم تعتبر تطورا جديدا بني على أنقاض "السلوكية" (في شقيها "الديمقراطية الليبرالية" لـ "روبرت داهل" Robert Dahl و"نظرية النظم" لـ "دايفيد إيستون" (David Easton)، لكن "السلوكيين" يرفضون هذا الطرح ويجددون إيمانهم بـ "النظرية التفسيرية التراكمية"، بمعنى أن التطورات المعرفية التي جاءت بعد ثورة "السلوكيين"، تساهم في "التراكم المعرفي" الذي وضعوا هم أسسه.